مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 09 عدد: 3 السنة: 2020
ص: 153- 172 | E ISSN: 2600-6634 /ISSN:2335-1586

# الظاهراتية والظاهراتية التأويلية–رؤية في المفاهيم والعلاقات–

# Phenomenology and Interpretative Phenomenology-Concepts and Relations-

* ط/د نوال بوالطمين[1] د/وسيلة بوسيس[2]

**Naouel Boutemine[1], Wassila Boussis[2]**

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل– (الجزائر)

مخبر البحث:الدراسات الاجتماعية–اللغوية، الاجتماعية–التعليمية، الاجتماعية–الأدبية

University of jijel-Algeria

naouelboutemine@yahoo.com

naouel.boutemine@univ-jijel.dz

boussiswassila@yahoo.com

| تاريخ الإرسال:2020/04/15 | تاريخ القبول:2020/05/11 | تاريخ النشر:2020/09/15 |
|---|---|---|

ملخص البحث

مثلت الفلسفة الظاهراتية هبّة فلسفية فكرية ما بعد حداثية، قلبت المزاج المعرفي العام بمقولاتها الكبرى؛ الذات، الوعي، القصدية...التي أعادت معها مركزية الذات والمعنى، وانفتحت معها ممارسات فلسفية واستراتيجيات بمقولاتها هي الأخرى التي استثمرت آلياتها وفعلها من الفلسفة الظاهراتية ومرتكزاتها، فسارت إلى جانبها مطورة من إطارها المتعالي إلى إطار يعايش التجارب والخبرات، يحاول فهمها وتفسيرها، في منحى يسير نحو التجدد والإبداع والانفتاح على آفاق معنى لانهائي، وهو ما مثلته أحد مباحثها وتوجهاتها وهي الظاهراتية التأويلية.

**الكلمات المفتاح** : الظاهراتية، الوعي، القصدية، الظاهراتية التأويلية.

**Abstract :** Phenomenological philosophy has represented a postmodern philosophical endowment which altered the general cognitive mood with its major quotes of the self, consciousness and Intentionality which restored with it the centrality of the self and meaning. It also opened the door to philosophical practices and strategies that invested its mechanisms and actions from the philosophical philosophy and its foundations. It walked by its side evolving from its transcendent framework to a framework that coexists with experiments as well as experiences in the attempt of

* نوال بوالطمين: naouelboutemine@yahoo.com

understanding and explaining it in a way that leads towards renewal, creativity and openness to the horizons of infinite meaning, which is represented by one of its research and orientations, i.e., the interpretive phenomenology.

**Keywords:** Phenomenology, Consciousness, Intentionality, Interpretive Phenomenology.

**مقدمة:**

خلق الانتقال من الفكر الحداثي إلى الفكر ما بعد الحداثي حالة من الانفتاح والتفاعل بدل الانغلاق والسكون الذي كان سائدا، كما خلق حالة من التشظي المعرفي، وذلك لظهور فلسفات واستراتيجيات قلبت المزاج العام برمته أعادت معها كل هامش وغائب، وعاد معها المعنى الذي غيب لردح من الزمن، ولعل أبرزها نجد الفلسفة الظاهراتية التي مثلت بحق وجه ما بعد الحداثة وما جاء بعدها، وهي التي مثلت أحد أهم كبريات الفلسفات الحديثة والمعاصرة خاصة فيما تحمله من طريقة خاصة في النظر إلى العالم، التي أعادت معها قيمة الذات بوعيها وخبراتها وإدراكاتها في تفسير ووصف الأشياء والظواهر من حولها وتبيان ماهيتها، حتى عدت منهجا في قراءة العديد من الظواهر وفق مقولاتها الهامة:الوعي والقصدية...وهو المنهج الذي انفتحت معه آفاق فلسفية أخرى، وسارت معه ممارسات كانت غطاءها العام والأساسي في تشكيل مفاهيمها ومقولاتها الكبرى مثل التأويلية التي سارت جنبا إلى جنب واستمدت مبادئها ومرتكزاتها من الظاهراتية، وانشقت كاتجاه فيها وهو الظاهراتية التأويلية كفعل يرسخها فلسفة في المعنى، وفي ظل هذا الفهم ما مفهوم كلتا الفلسفتين- الظاهراتية والتأويلية-؟ وفيما تتجلى حدود العلاقة التي تربط بينهما؟

**أولا_في مفهوم الظاهراتية:**

تعد الفلسفة الظاهراتية من أكبر الفلسفات المعاصرة التي قلبت موازين الفكر، بإحداثها ثورة كبرى ضد تلك التوجهات والتيارات التي كانت سائدة خلال القرن التاسع عشر، حاملة معها طابعا واضحا في النظر إلى الأشياء والظواهر خصوصا وأنها أعادت مركزية الذات إلى واجهة الساحة المعرفية والفكرية؛بعد أن همشت في وقت سابق، وهمش معها المعنى والحقيقة أن الفلسفة

الظاهراتية عباءة عريضة، اندرجت تحت لوائها مفاهيم كبرى:الروح، الدين، الجسد ... وتبحث في معاني الظواهر الفلسفية العميقة، لتصبح من أهم الفلسفات وأبرز المناهج المعاصرة التي يعتمدها الباحثون والدارسون في مقاربة العديد من الظواهر وماهيتها فما هي الظاهراتية؟.

تعددت التسميات بين الظاهراتية، الظواهرية، الظاهرية، علم الظواهر، الفينومينولوجيا تعريبا للمصطلح الأجنبي PHENOMENOLOGIE، وتعددت معها النظرة إلى هذا المنعطف التحولي الجديد، إذ اجتمعت فيه صفة المذهب، الفلسفة، التحليل، المنهج، الأسلوب ... ما جعلها تتصف بتلك الأرضية المعرفية الكبرى والصلبة التي جددت الفكر المعاصر وقلبت موازينه والظاهراتية مشتقة من الظاهرة، هذه الأخيرة التي تعني«الواقع الخارجي المؤثر في الحواس مثل الظواهر الفيزيائية والكيميائية، وكذلك الواقع النفسي المدرك بالشعور مثل الظواهر الانفعالية والإرادية».[1]غير أن معنى الظاهرة في الفلسفة الظاهراتية يختلف عن معناها الطبيعي، فالظواهر التي تتناولها الظاهراتية بالدراسة «ليست ظواهر العالم الخارجي، أي الظواهر الطبيعية الفيزيائية، بل المقصود بالظواهر التي تدرسها الفينومينولوجيا ظواهر الوعي، أي ظهور موضوعات وأشياء العالم الخارجي في الوعي، وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكه لها وكيفية حضور الظواهر في خبرته، أو ما يسمى بالإعطاء.»[2]

ومنه فالفلسفة الظاهراتية هي فلسفة الوعي التي ينبغي فيها«الاتجاه إلى الأشياء ذاتها هذه هي القاعدة الأولى والأساسية(...)وكلمة شيء تعني هنا المعطى، أي ما نراه أما أعيننا، هذا المعطى يسمى ظاهرة، لأنه يظهر أمام الوعي، ولا تدل كلمة شيء على أن هناك شيء مجهولا يوجد خلف الظاهرة».[3]

يتساءل الكثير عن ماهية الظاهراتية وكيف يفهم هذا المصطلح، وذلك لاتساع مفهومه وبحثه العميق والممتد، ففي كل كمرة يطلق على المصطلح إما فلسفة، أو منهج، أو مذهب، أو تحليل، أو أسلوب فهم، أو اتجاه...فما هي من بين هؤلاء؟.وللإجابة عن هذا سنوضحها بالقول أن الظاهراتية «ليست مذهبا أو فلسفة بعينها، وإنما هي في المقام الأول اتجاه أو منهج، وكل ما هنالك بعد ذلك هو فلسفات فينومينولوجيا، أعني تطبيقات فينومينولوجيا.فليس هناك في الواقع فلسفة بعينها يمكن أن نشير إليها قائلين: " هذه هي الفلسفة الفينومينولوجيا." وإذا استخدم أحد تعبير كهذا فإننا سوف نسأله على الفور أي فلسفة تقصد؟، هنا سيجد هذا الشخص نفسه في

مأزق، فسوف يكون لزاما عليه أن يحدد قائمة طويلة – قد لا تسعفه الذاكرة في تحديدها – لفلسفات متباينة لا يربط بينها منهج، ولأسماء فلاسفة عديدين بعضهم، قد طور الفينومينولوجيا وفقا لأغراضه الخاصة.»[4]وليس علينا هنا أن نفهم المنهج على أنه مجموعة خطوات أو إجراءات نتبعها ولا نحيد عنها، إذ أننا ننطلق في الظاهراتية من قناعة أنها «في حقيقتها ليست منهجا يسير حسب خطوات لأنها بذلك تكون أداة بحث وهي ليست كذلك، إنها في الأساس أسلوب في التحليل وطريقة في دراسة الوعي.»[5]

انطلاقا مما سبق من التعاريف والمفاهيم، تكون الظاهراتية ذلك الاتجاه الفلسفي أو المنهج العام الذي يبحث في كل ما يتعلق بالشعور، الحدس، الحواس، وإدراك الذات الواعية الماهية في جوهرها ووصفها وتحليلها لإثبات كينونتها وحقيقتها، وبهذا تكون الظاهراتية فلسفة الوعي الذي يربط الذات بالموضوع أثناء البحث في ماهية الظواهر وتحليلها، ومنه فهي«تعني بدراسة الواقع كما يتجلى في وعي الإنسان، إن الفينومينولوجيا نمط أو أسلوب للتفكير في الظواهر من خلال ربطها بالوعي الإنساني، ومن ثم يعتبر هوسرل الظاهراتية فلسفة القصد والوعي بامتياز»[6]

أما عن نشأة وميلاد الظاهراتية، فقد ظهر مصطلح أول ما ظهر عند«الفيلسوف الألماني جوهان هانوشتر لمبرت المعاصر لكانط، هو أول من تحدث عن نظام أسماه الفينومينولوجيا في كتابه الأورجانونNEW ORGANON 1764، ولم تكن كلمة الظاهرة عنده تشير أكثر من المظاهر الخداعة في التجربة الإنسانية، ولدى فإن الفينومينولوجيا لا تعد أن تكون عند لانبرت فينومينولوجية الوهم، وفي الفترة نفسها تقريبا، ميّز كانط بين الأشياء كما تبدو لنا، أو الظاهرة أو الأشياء ذاتها، وقرر أننا لا نعرف إلا ما يبدو لنا»[7]، ليتطور بعدها المصطلح ومعناه مع الفيلسوف هيجل، الذي قدم لظاهراتية معنى أقل وضوحا ودقة، حيث «أضفى على كلمة الظاهرة معنى أدق عندما استخدمها في كتابه فينومينولوجية الروح، درس فيه أشكال تطور الوعي، الذي نظر إليه نظرة تاريخية، ورأى أن مراحل الوعي هذه متجهة نحو ما أسماه بالمعرفة المطلقة أو الهدف النهائي للروح وهو ما تحققه من خلال تطورها.»[8].إلا أن كل الفضل يعود في نشأتها وتأسيسها للفيلسوف الألماني أدموند هوسرل بداية القرن العشرين والذي ينسب إليه هذا المنهج أو الفلسفة، وهو الذي تأثر كثيرا بأفكار الفيلسوف أستاذه فرانز برنتانو، حيث «كان يدفع هوسرل إلى تبني مواد جديدة في الفلسفة من أجل دراسة أشياء إيحالية أو موضوعات

قصدية فأطلق هوسرل على فلسفة (الفينومينولوجيا المتعالية) فعاشت حياة أكثر ازدهارا...كما تأثر بأفكار كانط حول طبيعة المعرفة وأصلها، أي بين الظاهرة والعالم كما نراه والمعقولية أي العالم كما هو حقا فإذا كانت ظاهرية هوسرل تختص أساسا بالوعي، فإن كانط هو أول من حددها ورصدها بعد تجريدها من مراميها ودوافعها، لتتطور مع هيجل.»[9] كما سبق ذكر ذلك، غير أن طموح هوسرل في الظاهراتية كان لتأسيس فلسفة شاملة ومنهج وصفي يشمل ضروب علمية ومعرفية شتّى، مخلصا إياها من الشك والنسبية التي كانت سائدة قبلا، لذلك أراد هوسرل بالظاهراتية «حل أزمة الفكر الغربي عموما، وذلك من خلال البحث عن الأساس الأول والمطلق التي تقوم عليه معارفنا كلها والمتمثل في خبرة الأنا المتعالي التي تحمل الماهيات الخالصة للظواهر.»[10] فهو ما يسمى بالظاهراتية المتعالية أو الترنسندنتالية عند ادموند هوسرل.

لقد منح هوسرل كل الشرعية لهذه الفلسفة لأن تكون علما كليا للمعرفة، وأن توحد العلوم تحت عباءة الموضوعية في التعامل معها ومع موضوعاتها، إذ أن أشهر تعريف للظاهراتية، والمنوط أساسا بغاية تأسيسها هو أنها«العلم الكلي للمعرفة الإنسانية، ولكافة العلوم الممكنة، وأنها أسبق من شتى المعارف والعلوم الأخرى، وهي المنبع الذي يجب أن تنبثق منه كل هذه المعارف وتلك العلوم، التي لابد أن تستمد شرعية وجودها من الفينومينولوجيا باعتبارها الفلسفة الأولى لكل المعارف الممكنة، وهي أيضا العلم الدقيق الذي سيصبح معيار البقية للعلوم الأخرى.ثمّ يؤكد هوسرل في مقالاته" الفينومينولوجيا العلم الكلي"أن الفينومينولوجيا قد تطورت في محاولة لتوحيد كل العلوم القبلية وأنها أصبحت بمثابة العلم القبلي الأول لكل موجود ممكن، وأنها العلم الكلي الذي ترتكز عليه وتخرج منه كل المعرفة الممكنة»[11]لهذا جاءت الظاهراتية كرد فعل على الفلسفة الوضعية أو بغية تخليص العلوم الإنسانية من الأزمة التي مست الفكر عموما وهي التفكير العقلاني المحض والخالص.

ترتكز الظاهراتية في عمومها على أسس ومعالم، رسمت حدود وآليات اشتغالها، إذ عدت هذه المرتكزات والمفاهيم بمثابة مفاتيح، تحقق الظاهراتية من خلالها أهدافها ومساعيها في الكشف ومساءلة المكبوتات المنغرسة في ثنايا حقيقة الظواهر الموجودة في ساحة الفكر والمعرفة عموما.

### 1-العودة إلى الذات وخبرتها:

يعد هذا المفهوم من أهم مرتكزات الظاهراتية، إذ ينطلق عملها من عملية الرد إلى الذات وفعلها وخبرتها، إذ إن معرفة حقيقة الظواهر وتحليلها لا يكون بما هو خارج عن الذات، وإنما بالعودة إلى خبرتها والاتجاه إلى الأشياء ذاتها، ذلك أن «السمة المميزة للمنهج الفينومينولوجي أنه منهج يقوم على الرؤية والعيان الأصلي والحدس الحسي والمباشر، ورؤية الأشياء بحد ذاتها ومعاينها على حقيقتها في بطون الوعي، إن المنهج الفينومينولوجي منهج للرؤية الذهنية، منهج يعتد بالأشياء والظواهر، كما يتجلى ويظهر في الذهن أو الوعي، وليس باعتبارها مقولات وأفكار أو مفاهيم قبلية ومسبقة»[12].تهتم الظاهراتية كثيرا بمفهوم **الوعي**—والوعي الإنساني—في تحليل الظواهر والبحث في حقيقتها، ومفهوم الوعي موضوع فلسفات كثيرة، تطور معها الفلسفات الذاتية تحديدا، وهي مقولة لا تستغني عنها انطلاقا من شعار «العودة إلى الأشياء ذاتها كما تبدو أمام الوعي، قد رفضت الفينومينولوجيا على خلاف المذهب الطبيعي النظر إلى العالم على أنه مستقل عن الوعي، لأن العالم مفهوما يتلازم مع الوعي.»[13]

لقد كان اهتمام هوسرل بالوعي واضحا من خلال تأسيسه للظاهراتية، إذ يعتبره سبيلا إلى الكشف عن ماهية الظواهر و«طريقا موصلا إلى فهم الحقيقة وخاصة ما يتصل بالطريقة التي بها يفكر المرء في الخبرة التي يعايشها، أو بتعبير آخر:كيف يشعر المرء بوعيه؟. وفي رأي هوسرل أن الوعي يكون متعمدا على الدوام، وبهذا المعنى فإنه يكون موجها إلى ظاهرة ما ويمكننا فهم الطريقة التي يعمل بها الوعي من إدراك الطريقة التي يخلق بها الأفراد فهمهم للظواهر، فقد كان هوسرل مهتما بصفة خاصة لمسألة:كيف يعيش الأفراد خبرتهم بصورة واعية، وكيف يتأتى لنا أن نصبح واعين بخبراتنا؟.فالظاهراتية ليست فلسفة فقط، وإنما هي إلى جانب ذلك طريقة من طرق البحث التي تهدف إلى إدراك ما يعيشه الأفراد من خبرات»[14].والوعي في الظاهراتية هو«دائما وعي بشيء ما– معناه — أنه لا يوجد فكر دون موضوع الفكر، ولا الأنا المفكر بدون الموضوع المفكر فيه، هو الفكر عندما يتوجه إلى موضوعه و "التوجه نحو" معناه القصدية وهي القدرة التي يمتلكها الوعي في رصد الموضوع، أو بالأحرى كينونة الوعي كانفتاح على الموضوع.»[15] لذلك فمفهوم الوعي يتداخل ويتماشى جنبا إلى جنب مع مفهوم القصدية أحد مضامين الظاهراتية انطلاقا من مفهومين الذات والموضوع أو الوعي والعالم اللذان يعتبران «الجانبين الرئيسين في الفينومينولوجيا ومهما اختلف الفينومينولوجيين، فهما لاشك فيه أن هدفهم الأساسي هو وصف وتحليل الوعي

الإنساني ويتضمن هذا المشكلة العامة القائمة على التساؤل:كيف يتكون الوعي من مختلف أشكال القصدية؟ أي أن السؤال الرئيسي هو:ماذا نفعل كي نختبر الأشياء داخل ذاتيتنا، وكيف نستطيع كفينومينولوجيين أن نتوصل إلى الرد على السؤال، كيف يبنى الواقع، وكيف يدرك في أفعال الوعي؟»[16] وهو مشروع القصدية التي تعمل على تحليله وتفسيره.

**2-القصدية:**

من أهم وأكثر المفاهيم المحورية التي تتكئ عليه الظاهراتية خصوصا في اشتغاله إلى جانب الوعي كما سبق الحديث عن ذلك، فقد رأى هوسرل أن مجال اشتغال الظاهراتية «ينبغي أن يتكون من مناطق مختلفة في الوجود، أحد هذه المناطق هو الوعي الخالص، وهو منطقة متميزة من مناطق الوجود، والطريق إلى هذا الوعي الخالص، يكون باستخدام ذلك المفهوم ذي الأهمية العظمى ألا وهو مفهوم القصدية الذي تلقاه هوسرل من أستاذه برانتانو وبشكل مباشر من فلسفة العصر الوسيط المسيحي. ويقول هوسرل أنه من بين كل الخبرات هناك خبرات معينة تتميز بأنها خبرة موضوع، هذه الخبرات يسميها هوسرل خبرات قصدية، ومن حيث هي وعي( حب، تقدير ...) بشيء ما فإنه يقول إنها خبرات ذات علاقات قصدية مع ذلك الشيء»[17].نفهم من هذا الحديث أن هناك شيئان يتقاطعان مع بعضهما ويكملا بعضهما البعض، ولا وجود لأحدهما منفرد أو معزل عن الآخر، ذلك أن«نظرية الوعي المقصود عند هوسرل توحي بأن الكينونة والمعنى يرتبطان دائما ببعضهما البعض، إذ لا يوجد شيء من دون شخص، ولا شخص من دون شيء والشخص في الحقيقة وجهان لعملة واحدة في الظاهراتية وقد تناول هوسرل هذه المسألة تحت مفهوم القصدية.»[18] وبهذا المرتكز لدى هوسرل يكون قد«ولج الهرمينوطيقا من بابها الواسع، لكنه في مقابل ذلك يكون قد وفر للهيرومينوطيقا من أن تضع موضع تساؤل بعض الافتراضات غير الفينومينولوجية المتضمنة في فينومينولوجيته»[19] والتي قام بتصحيحها من جاء بعده من أتباعه والمتأثرين بالظاهراتية.وخلاصة الفهم لهذا المفهوم المركزي في الظاهراتية والذي تستثمره كل الفلسفات الذاتية لارتباطه مع الوعي، اذ تكون العلاقة بين الوعي والقصدية علاقة تلازم وتكامل وارتباط وتعالق.

**3-الاختزال أو الرد والوضع بين قوسين:**

لفهم هذا الأخير ننطلق من فهمنا للهدف المنوط بالظاهراتية في حد ذاته التي تسعى من خلاله الوصول إلى الماهية وكينونة الظواهر، «ومن أجل تحقيق هذا الهدف فإنها لا تستخدم الشك الديكارتي، وإنما تستخدم"تعليق الحكم"، وهو ما يسميه هوسرل بالاسم اليوناني (époche) الايبوخيه؛ أي التوقف حرفيا، والذي يعنيه هذا هو أن الفينومينولوجيا تضع بين أقواس عناصر معينة في المعطى، هي العناصر التي لا تهتم بها»[20] إذ أنه في الحقيقة تكون رؤية العالم انطلاقا من فعل الملاحظة، وبفعل الإدراك العقلي كأشياء وموجودات ملموسة في هذا العالم، لكن «ما يقصده هوسرل هو أن نضع هذا الكون بين قوسين، ونخرجه من نطاق ملاحظتنا العقلية، فنحلل بها الخواطر البحتة التي تحيى في شعورنا(...) وهذه الأخيرة لا يمكن تعريفها وإنما وصفها فقط.»[21] أما بالنسبة لمعنى الاختزال ذلك المفهوم الذي ندعو من خلاله الظاهراتية، وتشترط فيه«الإقامة يقين هو ينبغي أن نضع بين قوسين كل ما هو خارج نطاق تجربتنا المباشرة، أن تختزل العالم الخارجي إلى محتويات وعينا وحده، وهذا ما دعاه هوسرل بالاختزال الظاهراتي.»[22] وهو ما تأكده دائما مقولة الظاهراتية ومسعاها في العودة إلى الأشياء باعتبارها ظواهر المعنى تتحقق عبر اشتغال معانيه الأسس والمرتكزات التي سبق ذكرها، إذ يرى هوسرل أن«الظواهر التي يصفها الظاهراتي ويهتم بما هي ظواهر المعنى، وليست ظواهر الأشياء في ذاتها، فالمعنى يجب أن يكون هو الشاغل هو الفيلسوف مؤكدا على أن الأشياء منذ البداية إنما هي معاني، وإن المعرفة بالأشياء تتطلب فهم معانيها، ومن أجل تحقيق الاستفسار المباشر، وهذه الطريقة لا تتم إلا عن طريق منهج التعليق على الحكم، لكل معطيات الواقع المعاش، وفكرة المعنى تعد فكرة رئيسية في فينومينولوجية هوسرل، كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بنظريته القصدية».[23]

تطورت هذه المرتكزات فيما بعد وخرجت من معناها الفلسفي المتعالي الذي تأسس مع هوسرل إلى مفاهيم أكثر وضوحا واقترابا، بل أكثر تعبيرا عن الوجود الإنساني والتجارب المعاشة، والتي استثمرتها فلسفات ومناهج ونظريات تطورت عن الفلسفة الظاهراتية، بل وسارت جنبا الى جنب معها ذلك إن مصطلح الظاهراتية في حقيقته«مصطلح مثقل بكثير من الدلالات والأبعاد والتطورات، فهنالك الفينومينولوجيا الماهوية، التي تقوم على أساس الوصف الخالص وعيان الماهيات، وهناك الفينومينولوجيا الترنسندنتالية وربيبتها الفينومينولوجيا التكوينية اللتان يتحدث عنهما هوسرل بشكل نتزايد في أعماله الأخيرة، وهناك الفينومينولوجيا الهيرمينوطيقيا لدى هايدغر

وأتباعه، والتي تقوم على التفسير وليس مجرد الوصف الخالص، وهناك ما يعرف باسم الوجودية الفينومينولوجية أو الفينومينولوجية الوجودية، وهو ذلك الاتجاه الذي امتزجت فيه ملامح الفينومينولوجيا بالوجودية، على نحوها نجد ذلك متمثلا بوضوح لدى ميرلوبونتي وسارتر ...»[24]غاستون باشلار، بول ريكور، هنري برغسون.....

يعتبر الألماني مارتن هايدغر أحد رواد الظاهراتية، وتلميذ هوسرل الذي تأثر به كثيرا في أطروحاته الفلسفية، واستفاد من أفكاره، إذ «يعد أول من أرسى دعائم الحركة الفينومينولوجية والتجديد الفلسفي منذ عصر هوسرل الذي تتلمذ على يده فتأثر بكثير من تفكيره الذي انعكس في إنتاجه الفلسفي:الكينونة والزمان (1927 م)، ما الميثافيزيقا؟ (1929م)، الذاتية والاختلاف (1957م).لقد توسم هوسرل في تلميذه هايدغر أنه سوف يكون الوريث الشرعي بعده في الفلسفة الفينومينولوجية لكن الخلافات الفكرية بدأت تظهر تدريجيا بين التلميذ وأستاذه، إذ بدأ يسير في محاضراته مسارا يختلف عن أستاذه[نتيجة ظروف سياسية]، لذلك انتقد هوسرل مسلكه هذا، وعاب عليه اتجاهه نحو الانثروبولوجيا وتأسيسه للفينومينولوجية على الوجود الإنساني وفقا للمذهب النفسي دون المنهج المتعالي بردوده المتنوعة»[25].فقد كان استثمار هايدغر للظاهرية واضح في أعماله، إلا أنه قام بتعديل تلك المفاهيم الهوسرلية المتعالية، فقد«أراد الاستفادة من الفينومينولوجية في مسألة الأنطولوجية واعترض على الجانب الميثافيزيقي في الفينومينولوجية المتعالية عند هوسرل، وحول مجال البحث الفينومينولوجي، من ماهية الظاهرة إلى ظاهرة الماهية التي هي الكينونة ليحدث تحول في مسار الفينومينولوجيا من الأنا المتعالي الذي يبحث عن ماهية الظواهر إلى الدازينdasein الذي يبحث عن معنى الكينونة»[26]، وهو ما يؤكده استثمار هايدغر لظاهراتية هوسرل من حيث كونها أسلوب أو طريقة بحث يكشف به عن مسألة الوجود (الكينونة)، «من ناحية إعادة السؤال عنها، ولأجل ذلك لابد من إنجاز مهمتين: أولهما؛ الأنطولوجيا الأساسية، أو ما يسميه هايدغر تحليلية الدازين، أما ثانيهما؛ فهي تجاوز الميثافيزيقا وتعد الأولى مرحلة مؤقتة لبلوغ سؤال الكينونة، في حين تعد الثانية نقد التاريخ الفلسفة الغربية من أفلاطون إلى نيتشه لأنها ميثافيزيقا الموجود».[27]؛ثم إن هذا الربط بين الفينومينولوجيا والانطولوجيا في أطروحة هايدغر، مفاده أن«المنهج الفينومينولوجي الذي اعتمد على قدر المشروع الفلسفي للأنطولوجيا الأساسية، إنما هو تأويلية أفقها وموضوعها ومداها، هي شرائط مشتقة من

مفهوم الوجود، ومن جذره الأول، أي تأويلية الحياة الحداثية.»[28]، وهو في ذلك يعتبر«الفلسفة الانطولوجيا فينومينولوجية كلية تصدر عن تأويلية الدازين».[29]

يقدم مارتن هايدغر صياغة جديدة للظاهراتية وفهما يبتعد أو يحيد فيه عن مثالية وتعالي ظاهراتية أستاذه، إذ «ولأجل انجاز وإنجاح منعطفه الفينومينولوجي الهيرمينوطيقي قام بتحويل التأويل الفينومينولوجي باعتباره يقوم على أساس فهم الذات لذاتها، إلى فهم الذات لذاتها، إلى فهم الذات للآخر، للنصوص، للظواهر...وهذا انطلاقا من الصياغة الجديدة التي قدمها هايدغر للفينومينولوجيا من خلال عودته إلى الجذور الإغريقية لمعناها، أصبحت تعني ترك الأشياء تظهر على ما هي عليه، أي تكشف عن نفسها، وهذا عكس المعنى الذي اعتدنا عليه، والذي مفاده أننا نحن من يتجه إلى الأشياء، أي توجه الوعي نحو الأشياء، وهذا ما جعل هايدغر يرفض الانخراط في فينومينولوجيا هوسرل، داعيا إلى فينومينولوجية تأويلية»[30]، وبهذا لم يتجاوز هايدغر الظاهراتية كما أن ما قام به ليس هدم هذه الأطروحة، إنه يقصد بذلك تعديلها، والدعوة إلى فينومينولوجية تأويلية تعني «هدم واحدة من تأويلاتها (الظاهراتية) أي تأويلها المثالي من طرف هوسرل نفسه ... إذ يوجد بين الظاهراتية والهرمونيطيقا انتماء متبادل يحسن توضيحه ...[إذ] تقوم الهرمونيطيقا من جهة على أساس الظاهراتية، وهكذا تحتفظ بما تريد مع ذلك أن تبتعد عنه، بهذا تبقى الظاهراتية افتراض الهيرمونيطيقا، كما لا يمكن للظاهراتية من جهة ثانية أن تؤسس نفسها دون افتراض هيرمينوطيقي.»[31] وفي كل هذا يمنح هايدغر فهما جديدا ومغايرا للظاهراتية، التي أخرجها من القالب المتعالي الذي وضعها فيه هوسرل مؤسسها، وألغى ذلك الفهم الخاطئ بنسبة مصطلح الظاهراتية وأفكارها له، وبذلك أيضا أحدث خلخلة في هذا الاعتقاد وأخذ به منعطفا انتقاليا بتوظيفه لمعنى الظاهراتية «المسألة الأنطولوجية حيث تعمل على وصف الكينونة، أي ما تظهر به الكينونة، هذا من ناحية الكينونة أما من ناحية الدازين أو الموجود الإنساني، فإن الفينومينولوجيا تتحد مع الهيرمينوطيقا، فتصبح فهما أو تفسيرا، وذلك من أجل المساهمة في المساءلة الفلسفية لسؤال الكينونة، وبالتالي فإن الفائدة المنهجية للهرمونيطيقا تكمن في أداءها وظيفة نقل الفلسفات الابستيمولوجيا، وتحديدا الفينومينولوجية المتعالية عند هوسرل من جهة، والمساهمة في توضيح معنى الكينونة من جهة أخرى.»[32]

لم يقف انفتاح الظاهراتية وتجاوزها تعاليها على مفهوم هايدغر الذي خرج به الى الوجود الإنساني كفلسفة فينومينولوجية تأويلية، بل وعلى امتداد هذه الفلسفة وشموليتها لكافة علوم المعرفة كلها، «خصوصا وأنها ليست صياغة جاهزة، ولكنها منهج مفتوح وقابل للتطوير باستمرار.»[33] ونجد في ذلك الكثير ممن تناولها وطبق منهجها ومنحها أبعادا مختلفة مناسبة إلى نواحي ومواقع منفتحة فكريا وجغرافيا، ذلك لكونها عباءة كبرى تنضوي تحتها كل نظريات ومناهج وفلسفات ما بعد الحداثة، نجد:ماكس شيلر، غاستون باشلار، رومان انغاردن، جون بول سارتر، ليفيناس ...إلخ، وغيرهم كثير ممن اتخذها أساسا في مجاله وميدانه، كعلم التحليل النفسي، علم الاجتماع، الرياضيات، المعمار والهندسة، الفن والأدب بجميع فروعه، خاصة النقد، هذا الأخير الذي استفاد من الأطروحات التي تناولها سابقا والتي ظهرت على أثرها مناهج واستراتيجيات في القراءة، كانت «جسرا واصلا بين بعدها الفلسفي وبين النقد الأدبي ... كما استطاعت أن تترك بصمتها على المناهج النقدية ما بعد الحداثية بشكل عام، لأن هذه المناهج (التفكيكية، التأويلية، السيميائية ونظريات التلقي) تنطلق من فعل قراءة النص، ومسؤولية القارئ في انجاز برامج النص التي تظل ناقصة بكتابته، وفعل القراءة في الأساس يستمد وجوده من مفهوم الوعي»[34]، وتطوره انطلاقا من هوسرل وهايدغر، ... وغيرهم لذلك أثرت هذه الفلسفة في حقل النقد، وطورت الكثير من آلياته وأدواته القرائية في مقاربة النصوص.

**ثانيا– في مفهوم التأويلية/الظاهراتية التأويلية:**

من الاستراتيجيات والممارسات الفلسفية التي صاحب الظاهراتية نجد التأويلية التي تعد كفعل فلسفي ونقدي هبة الفكر مابعد الحداثي والتي أخذت في الدرس الغربي مسار تحولات هامة استطاعت أن تشكل مفهومها وحدودها، بدءا من إشكالية فهم النصوص المقدسة وتفسيرها مستعينة بالموروث الاغريقي، لتنطلق كمنحى فعلي مع الفلسفة مع شلايرماخر ودلتاي وتمتد مع ريكور وايكو، ثم استثمار النقد وارتكازه على هذه المرجعية في قراءة النصوص والخطابات، ليرتسم طريق التأويل بين حدود الدين، الفلسفة، النقد

تعرف **التأويلية** بأنها«مجموعة المعارف والتقنيات التي تسمح باستنطاق العلامات واكتشاف معانيها... انتقل المصطلح أساسا من مجال علم اللاهوت [إلى الفلسفة] إلى علم الأدب والنقد ... وكانت مسألة الفهم من أهم المسائل التي اشتغلت عليها التأويلية. ونجد هذا

الاهتمام عند التأويليين القدامى وعند المحدثين ... كمثلا دلتاي، هايدغر، غادمير، بول ريكور ... وغيرهم.»[35] ممن شكلت مشاريعهم إطارا وفهما عاما لفعل التأويل هذه الثلة الأخيرة التي تطورت معها التأويلية ترجع أصول أفكارهم وانطلاق أطروحاتهم من أفكار الظاهراتية ومؤسسها هوسرل، إذ«يكاد يجمع الباحثون في مجال فلسفة التأويل، على أن الفينومينولوجيا (الظواهرية) كمنهج يهتم بدراسة الظواهر، يدخل ضمن تحولات العقل التأويلي في الفلسفة الغربية، أو قل بينهما صلات وروابط تشكلت بفعل ضرورات المعرفة والجدل العلمي حول تأسيس المفاهيم وضبط المقولات. فالفينومينولوجيا في بحثها تسعى إلى معالجة مسألة فهم الوجود، أما الهرمونيطيقا فإن جهدها ينصب على إشكالية وجود الفهم كظاهرة بالمعنى الفينومينولوجي يعمل الكائن خلالها على إعادة اكتشاف ذاته والعالم/ الوجود من حوله الآن.»[36]

انطلقت الظاهراتية بعد هوسرل أو كما سميت فيما بعد بالظاهراتية الجديدة (التأويلية) مع هايدغر، غادمير، ريكور...منهجا وفلسفة في المعنى على حد قول الباحث محمد شوقي الزين، إذ تختص«بصياغة صور الظواهر من خلال إضفاء المعاني والدلالات عليها، وإكسابها ماهيات تعبر عن خصوصيتها وتميزها، ومراحل الصياغة والدلالة هي مراتب الالتقاء بين الوعي والأشياء الكائنة خارجه»[37]، ومنه فالدلالة أو المعنى يتحدد من خلا مفهوم القصدية الذي يطرحه المنهج الظاهراتي، «أي كينونة الوعي كانفتاح على الموضوع، فالوعي بالموضوع هو رصده وإدراكه وتحديده ضمن قوالب دلالية محددة، هو إدراك ماهية هذا الموضوع وبالتالي فهو رصد معنى يحتمله.»[38]

ما يهمنا في هذه الرؤية هو البحث في تجاوز الفهم المتعالي وتأثير الظاهراتية والتأويلية وارتباطهما ببعضهما ارتباطا وثيقا بدءا مما قدّمه هايدغر في مشروعه الذي سبقت الإشارة إليه، حيث قدّم صياغة جديدة للظاهراتية، مبتعدا بها عن الطابع المثالي الذي سار فيه أستاذه هوسرل، ناقضا أحد أوجهها (المتعالية) متجاوزها إلى ظاهراتية تأويلية تفسيرية (متنقلا بها إلى الأنطولوجيا داعما إياها بالتأويلية)، فقد كانت غايته ظاهراتية التأويلية «تجديد سؤال الوجود بشكل عام؛وليس إنتاج نظرية عن العلوم الإنسانية، أو التغلب على مآزق النزعة التاريخية، فهذه كانت مجرد مشكلات جزئية معاصرة كان قادرا أن يثبت فيها نتائج تجديده الجدري لسؤال الوجود»[39].ولهذا كانت تأويلية هايدغر استجابا لمفاهيم ظاهراتية وصياغتها انطلاقا من الانفتاح

على مفهوم الكينونة والكشف الظاهراتي الحقيقي للوجود الإنساني، ولهذا تعتبر تأويلية هايدغر ممارسة فهم وجودية، انطلاقا من محاولاته«البحث عن معنى الفهم وحقيقته بدل البحث عن منهجه وقواعده، وبذلك ألبس المصطلح ثوب الأنطولوجيا، وربط مسألة معرفة معنى الوجود بمعرفة الوجود الإنساني الذي سماه الدازين، إذ فقد اكتشف منهجا يمكن من خلاله تفسير الوجود عبر تفسير الوجود الإنساني.»[40] وبهذا أخذت لفظة الفهم في تصور هايدغر«معنى وشكل من أشكال الوجود في العالم والفهم هو الأساس لكل تفكير، وهو متأصل مصاحب لوجود المرء وقائم في كل فعل من أفعال التأويل»[41].ولفهم أكثر للعلاقة بين الظاهراتية والتأويلية وارتباطها ارتباطا إستلزاميا تفاعليا، علينا أن نفهم أن ما يهدف إليه التأويل هو«تفسير العالم من خلال الاهتمام بميكانيزمات الفهم وتتبع الآليات التي يتم فيها ذلك التجسيد وبوسائل الملائمة والتخصيص بوصفها لقاء ظاهراتية بين الوعي والوجود، والظاهراتية في إطار ذلك تهتم بصياغة صور الظواهر من خلال إضفاء المعاني والدلالات عليها لتعبر عن خصوصياتها من هنا، فإن فلسفة الوجود في نهاية الأمر تتحول إلى فلسفة الكينونة وتتحول الظاهراتية إلى التأويلية، وتجدر الإشارة إلى أن الظاهراتية تعالج فهم الوجود والتأويلية تعالج إشكالية الفهم وجودا، هذا المعنى المتقابل يرى انفتاح التصور بين الذات والموضوع، بين النوئزيس والنوئيما، بوصفه تصورا ظاهراتيا جماليا.»[42]

استفادت جل الخطابات والنصوص من أطروحة هايدغر واستثمرها فلاسفة بعده، فكانت إسقاطاتها على النصوص انطلاقا من دور الذات القارئة؛إذ أن«التأويلية عملية فهم وجودية، وأن النص ينفصل عن المؤلف بعد صدوره وله وجود ثابت، ولا معنى للتفتيش عن قصد المبدع وتحريه، وإنما المهم هو قراءات الآخرين للنص، وماذا يفهمون.»[43] وبهذا فهو بعيد الاعتبار للذات القارئة ووعيها وقراءتها للنص فهما وتفسيرا، إذ يشير هايدغر إلى أن «فهم النص وتفسيره لا يبدأ من فراغ وإنما يبدأ من معرفة أولية عن النص ولقاؤنا بالنص يتم خارج الزمان والمكان، ولا نلتقي بالنص صامتين، وإنما متسائلين، وهذه الأسئلة تمثل الأساس الوجودي لفهم النص وتفسيره، إذ يعتقد أن فهم البنية الوجودية للنص يتم بعيدا عن مبدعه فيكون العمل لحظة وجودية تمتزج مع الوجود الذاتي للمتلقي والمفسرة الذي يمثل لحظة من لحظات الوجود الحقيقي، وعندما تلتقي

اللحظتان يبدأ الحوار وينطلق السؤال والجواب الذي تنكشف معه حقيقة الوجود وهو ما يعزز تجربتنا الوجودية.»[44]

انتقلت هذه الأفكار وامتدت مع أهم علم من أعلام التأويلية ومشروعه التأويلي وهو هانز جورج غادامير (1900 – 2002)، إذ نجد لأفكار هوسرل وتلميذه هايدغر أثرا كبيرا في أطروحته، إذ يعتقد غادامير أن«هوسرل وهايدغر هما العرابين الأساسين للمنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، فهوسرل اشتغل بالفينومينولوجيا الهيرمينوطيقيا عبر اهتمامه الكبير بالقصدية الطبيعية للشعور، فالشعور بالنسبة إليه لا يعني ذلك الفضاء المليء بالتجارب المعيشة، الذاتية والمنكفئة على نفسها، ولكنه يعني ذلك الانفتاح على المعنى، أي الانفتاح على الشعور القصدي في المحصلة»[45]، كما أن غادمير قام باستثمار الطابع الظاهراتي لهايدغر، «وطبق مدخله الموقفي على النظرية الأدبية، وذلك في كتابه الحقيقة والمنهج، حيث ذهب إلى أن العمل الأدبي لا يخرج إلى العالم بوصفه حزمة منجزة مكتملة التصنيف لمعنى، فالمعنى يعتمد على الموقف التاريخي لمن يقوم بتفسير هذا العمل، ولقد أثرت أفكار غادامير على نظرية الاستقبال»[46]، فقد انطلق من فكرة هايدغر في إعادة التأريخ وإدخاله في المقاربة التأويلية متحدثا عن فكرة«الانصهار بين الأفق الماضي والحاضر وهو ما يمكنه الفهم، إذ لم يعد هناك مؤول ذاتي ومعطى نصي موضوعي، بل أصبحت هناك وحدة بين الاثنين في الزمن...وينسب غادامير إحداث هذا الانصهار على نحو منظم لما يسميه بالوعي المتأثر بالتاريخ»[47]، مخلصا عمليه الفهم من البعد النفسي الذي وسمت به قبلا، فهو يتحدث عن حاضر لا ينحاز ولا ينعزل عن ماضيه، إذ ينصهر الاثنان ليشكلا خبراتنا وتجاربنا، ومنه كل نص حسب تأويلية غادامير«يمتد على أرضية سابقة وعلى قراءة معدة مساقا، أي على موروث يتحاور مع كل قراءة جديدة حتى قيام ( انصهار الرؤى) بين الوعيين المنفصلين، وهما وعي الكاتب ووعي القارئ، بعد هذا ينقل غادامير مسألة هيرمونيطيقا النص باتجاه القارئ، لقد فتح طريقا سارت عليه أعمال ياوس، ومدرسة كونستانس التي تناولت نظرية التلقي لأن غادمير اعتقد أن ما نحتاجه هو التأريخ الفعلي وتتبع نتائج الأثر الفني في قراءة ودراسة المستمعين أكثر من المؤلفين»[48].

لقد أثرت فلسفة التأويل لدى غادامير في عمومها في كل المناهج النقدية ما بعد الحداثية والمعاصرة بصفة عامة بتقديمها إضافات جوهرية وعميقة في تشكيل استراتيجياتها

وممارساتها انطلاقا من تفعيل دور القارئ.يمتد هذا الفهم أيضا إلى أحد فلاسفة القرن العشرين وهو بول ريكور( 1913 – 2005) الذي كان مشروعه شاملا ضمّ كل الفلسفات والمنهجية لما يوافق نظرته للإنسان والذات وفعلها«فالمشروع الفلسفي لريكور، يوجد في خط الفلسفات التأملية، كما يتموضع في امتداد حركة الفينومينولوجيا الهوسرلية، وهو يريد أن يكون تعبيرا تأويليا لهذه الفينومينولوجيا، يتجاوز إخفاقاتها في الطموح إلى شفافية كاملة للذات مع نفسها، كما أن هذا المشروع يوجد أيضا على خط أنطولوجيا الفهم الهايدغرية، غير انه خلافا لهايدغر لا يريد أن يسلك طريقا مباشرا، وإنما يسعى إلى بلورة مثل هذه الأنطولوجيا عبر الحوار مع الحصيلة المنهجية والنظرية التي يتوفر عليها الفكر الفلسفي، أي استيمولوجيا التأويل».[49]

يتحدث ريكور عن الذات ويركز عليها من منطلق أنه «لا يمكن الحديث عنها بوصفها عقلا فعالا، وإنما كفعل تأملي وفعالية تواصلية، تتجلى في الآثار التي ترسمها على بياض الصفحات والفنون أو المعماريات أو الثقافات أو الحضارات، فالتماهي بين الذات وذاتها مستحيل، وفهم الذات يتوسطه تفكيك عالم الرموز والفضاء الثقافي، فتلتمس ذاتها أو يعي عالمها، بهذا الاندفاع نحو عالم الأشياء والعلامات والرموز، فتأويلية ريكور هي فينومينولوجيا بامتياز، لكنها إزاحة نقدية للمتعاليات المجردة المؤسسة لمذهب هوسرل، فهي تأويلية فينومينولوجيا بالمعنى التي تربط فيه لغة الرمز بفهم الذات ... ولهذا يعتبر ريكور أن أهمية اللغة التي تؤسس حقيقة الذات لا تكمن فقط في النسق المغلق للعلامات، وإنما تقصد شيئا وتفتح عالما.»[50]ولهذا فمشروع بول ريكور يهدف هو الآخر في مسعاه إلى«إقامة انثروبولوجيا فلسفية تمسك بالإنسان في كليته أي من جهة ما هو عارف وفاعل ومنفعل، وهكذا فإننا إزاء لافتات مختلفة، يمكن أن تكون عنوانا لمشروع واحد هو تشييد التأويل داخل الفينومينولوجيا أو بلورة أنطولوجيا الفهم من خلال استيمولوجيا التأويل»[51].أفاد ريكور كثيرا من فينومينولوجيا هوسرل (بما هي فلسفة هيرمينوطيقيا) ومن طريقة هايدغر في انطولوجيا الفهم ومقولة الدازين كمرجعيات فلسفية أسس وفقها مشروعه التأويلي وطرح على أساسها مفهومه عن الفهم الذي قارب به النصوص، وأفاد من غادامير، حيث كان استثمار الفلاسفة للظاهراتية قائم على أساس واحد، إلا أن طريقة تناول وأسلوب التعامل يختلف كل حسب توجهه وقناعاته الفكرية«ففي الوقت الذي يتحدث فيه غادامير برضا عمّا أعماه الهيرمينوطيقا الفلسفية، فإن ريكور وبالرغم من أنه بدأ فينومينولوجيا فقد

استقر في آخر المطاف على عنوان الفينومينولوجيا الهيرمينوطيقيا، وفي حين كان غادامير يرى على الهيرمينوطيقا ونظرية التأويل أو العلوم الإنسانية، التحول إلى الفينومينولوجيا، فإن ريكور كان يرى عكس ذلك، أي أن الفينومينولوجيا هي التي في حاجة إلى الهيرمينوطيقا.»[52]

ولهذا يمكن إجمال القول بخصوص مشاريع كل من هايدغر وغادمير وريكور التأويلية واستثماراتهم الممتدة من الظاهراتية، «أن المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا [الذي شمله] يعمل ذاتيا على إنتاج توترات وانبلاجات هي أصلا منهمكة في دراسة مشروع هوسرل، توترات وإنبلاجات أقرب ما يكون إلى تصور الأنا والقصدية منها التصور التأسيسي للفلسفة.»[53] لكل من الفلسفة الظاهراتية والتأويلية نفس الإشكالية الفلسفية والمتمثلة في البحث عن العلاقة بين الذات والموضوع أي بين المعنى والذات، أي في مفهوم القصدية عموما، فالفهم/التأويل حسب ريكور «ليس شيئا نجده أو نعثر عليه داخل الأشياء، بل هو كينونة تحياها الذات وتكونها، لدى يقال بأن فهم النص وتأويله هو أولا وقبل كل شيء، فهم وتأويل الذات ... فمن خلال فهمنا لذواتنا نحوز على معنى رغبتنا في أن نكون أو جهدنا من أجل أن نوجد ...[وهو في هذا] يعيد الاعتبار لرمزية اللغة على اعتبار أن الحقيقة إنما تتعدد فهما وتأويلا عبر تلك الطاقة الرمزية التي يحتكم إليها النص والتي بها تتعدد نصوصا»[54]، ولهذا فهو يستعين باللغة وتحليل رموزها كآلية وإجراء لابد منه في فهم النصوص، ولهذا يتجدد تأويل النصوص حسب ريكور انطلاقا من مهمتها التي تتوسل البحث «داخل النص ذاته من جهة، ومن الدينامية الداخلية المندسة خلف هيكلة الأثر الأدبي، والبحث من جهة ثانية عن قدرة هذا الأثر على أن يبقي بنفسه خارج ذاته، يولد عالما يكون بحق هو شيء النص.»[55] وعلى العموم، فمشروع ريكور متنوع المشارب الفلسفية والنظريات التي أسس وفقها التأويل، إذ استقى من علم الدلالة البنيوية، التحليل النفسي، اللغوي، السيميولوجيا، الظاهراتية .. ومن كل جوانب المعرفة نصيبا شكل به أطروحته التأويلية النقدية في إطار ما سماه بصراع التأويلات (وهو صراع وهو صراع مقولات سادت في فترة سابقة)، التي يهدف من وراءها إلى«إقامة علم لتفسير النصوص يعتمد على منهج موضوعي صلب يتجاوز عدم الموضوعية التي أكدها غادامير، إنها نوع من العودة إلى البحث عن المنهج أو الوسائل العلمية المثلى لتفسير النصوص وتأويلها بكيفية مستقلة عن ذاتية المؤول وعن قصدية المؤلف في الوقف نفسه»[56].إن في هذا المعنى دعوة إلى انفتاح النص وتجدده، انطلاقا من مجموعة

التأويلات اللانهائية، التي تتأسس وفق معايير وقواعد موضوعية اتخذها النقد إجراءات ووسائل تجعل من القارئ أو المؤول قادرا على إقامة وتحديد الفروق بين القراءات التأويلية الهادفة، وغير الهادفة، المقنعة أو العكس، وهو ما أصبح متعارفا عليه في الوسط المعرفي المعاصر.

لخص الباحث محمد شوقي الزين ارتباط الظاهراتية بالتأويل، ورأى أنه ارتباط « عضوي ووظيفي تتجلى حدوده في: 1) الأصل والعودة إلى الأشياء؛ إذ تنعكس المسألة في الفكر الظاهراتي والتأويلي من فهم الوجود إلى كينونة الفهم كوجود في علاقة مع الشيء نفسه، 2) التجربة المعاشة في صلب الحاضر الحي؛ أي يمكن اعتبار الحاضر كزمان آني يختلف عن الماضي وعن المستقبل بل سيلان لا نهائي وتدفق دائم للحظات، 3) التجارب المعاشة المنخرطة في نظام الزمانية؛ يجعل الوعي يتصل اتصالا مباشرا بموضوعه هنا أو الآن ويدرك ذاته كوعي خالص، 4) فهم الذات وتجربة الآخر؛ فالذوات تدرك بعضها البعض بحكم انتمائها إلى عالم مشترك معطى بمجموع هذه الإدراكات كتجارب معاشة...فهناك اهتمام بالذات واهتمام بالآخر يتقاسمان الانشغالات والهموم إزاء العالم نفسه الذي ينتميان إليه في تحليل وتعميق لبنية ووظيفة الفهم»[57].

لهذا ركز الترابط على الذات وفعلها إزاء الموضوع وعلى مفهوم القصدية بدرجة أساس، ومنه فتحت التأويلية الباب واسعا أمام القارئ «إذ لم يعد تحديدها بأنها تطابق بين عبقرية القارئ وعبقرية الكاتب لأن قصد الكاتب الغائب عن النص أضحى هو عينه سؤالا هرمينوطيقيا، أما عن الذاتية الأخرى تلك المتعلقة بالقارئ من النص ويتلقاه»[58] .ولهذا لا يمكن أن يستغني المنهجين أو المقاربتين عن بعضهما فالتأويلية منغرسة في باطن الظاهراتية.

**خاتمة:**

وخلاصة القول لما سبق الحديث عنه، مثلت الظاهراتية العباءة الكبرى التي اندرجت تحتها كل أشكال الممارسات والاستراتيجيات النقدية التي اتخذت من الذات وفعلها التأويلي مايسمح لها بمقاربة النصوص والخطابات التي همشت المعنى، إذ كانت الظاهراتية بمقولاتها: الوعي، القصدية، ...الباب الواسعة التي سارت الى جانب التأويلية وفعلها :الفهم والتفسير... في الكشف عما أضمرته النصوص بمعية ثلة من فلاسفة القرن:هايدغر وغادامير وريكور، والتي أخرجت من طابعها المتعالي مع هوسرل إلى كونها فلسفة ومنهجا في المعنى، داعية بفعلها التأويلي إلى الانفتاح والتجدد وإطلاق العنان للإبداع.

**هوامش:**

[1] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، 1982، باب الظاء، ص30.

[2] – تأليف جماعي:مناهج البحث في الفلسفة، إشراف: عمارة الناصر، دار القدس العربي، الجزائر، 2013، ص 167.

[3] – إ.م بوشبنسكي:الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر:عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ع165، 1992، ص 184.

[4] – سعيد توفيق، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1992، ص 19.

[5] – المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، 10:30/02.2018/12سا على الرابط:/http://or.wikipedia.org/wiki

[6] – محمد الديهاجي:الخيال وشعريات المتخيل بين الوعي الآخر والشعرية العربية، منشورات محترف الكتابة، المكتب المركزي بفاس – المغرب، ص 46.

[7] – يوسف سليم سلامة:فينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ص 09.

[8] – يوسف سليم سلامة:فينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل، ص 09–10.

[9] – يادكار لطيف الشهرزوري:الظاهراتية والنقد الأدبي– الأصول الفكرية للمناهج النقدية، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط1، 2015، ص15.

[10] – محمد بن سباع:تحولات الفينومينولوجيا المعاصرة، ميرلوبونتي في مناظرة هوسرل وهايدغر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2015، ص 09.

[11] – سماح رافع محمد:الفينومينولوجيا عند هوسرل – دراسة في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد–العراق، ط1، 1991، ص 93.

[12] – عبد الكريم شرفي:من نظريات القراءة إلى فلسفات التأويل، دراسات تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 97.

[13] – علا مصطفي أنور:علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية– دراسة في فلسفة ميرلوبونتي–، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 46-47.

[14] – شارلين هس بيبر وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، تر:هناء الجوهري، مرا: محمد الجوهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب – سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين– القاهرة، ع1783، ط1، 2011، ص 69.

[15] – محمد شوقي الزين:تأويلات وتفكيكات – فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 50.

[16] – علا مصطفى أنور:علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية، ص 31.

[17] – إ.م. بوشبنسكي:الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص 187.

[18] – يادكار لطيف الشهروزوري:الظاهراتية والنقد الأدبي، ص 13.

[19] – جان غرندان:المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 61.

[20] – إ.م. بوشبنسكي:الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص 186.

[21] – اميل برييه:اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر:محمود قاسم، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت–لبنان، 1956، ص 33–36.

[22] – محمد عزام:التلقي والتأويل–بيان سلطة القارئ في الأدب–، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2007، ص 222.

[23] – علي عبد الرزاق جبلي، محمد أحمد بيومي وآخرون:نظرية علم الاجتماع – الاتجاهات الحديثة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 290.

[24] – سعيد توفيق:دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، ص 17.

[25] تأليف جماعي:مناهج البحث في الفلسفة، ص 177.

[26] – محمد بن سباع:تحولات الفينومينولوجيا المعاصرة، ص 09.

[27] – محمد بن سباع:تحولات الفينومينولوجيا المعاصرة، ص 11.

[28] – فتحي انقزو:هوسرل ومعاصروه – من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2006، ص 180.

[29] – فتحي انقزو:هوسرل ومعاصروه، ص 180.

[30] – أحمد معاريف:الفينومينولوجيا التأويلية عند مارتن هايدغر، مجلة لوغوس، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، ع3، سبتمبر 2015، ص 25.

[31] – بول ريكور:من النص إلى الفعل – أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسن برقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2001، ص 31.

[32] – محمد بن سباع:تحولات الفينومينولوجيا المعاصرة، ص 11–12.

[33] – سعيد توفيق:دراسة فلسفة الجمال الظاهراتية، ص 16.

[34] – يادكار لطيف الشهرزوري:الظاهراتية والنقد الأدبي، ص 19–20.

[35] – يادكار لطيف الشهرزوري:الظاهراتية والنقد الأدبي، ص 51 – 185.

[36] – عبد الغاني بارة:الهيرمينوطيقا والفلسفة–نحو مشروع عقل تأويلي_، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2007، ص 196.

[37] – محمد شوقي الزين:تأويلات وتفكيكات، ص 52.

[38] – محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، ص 52–53.

[39] – هانز جورج غادمير:الحقيقة والمنهج، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوبا، طرابلس، ط1، 2007، ص 359.

[40] – داخل الحمداني: التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ع1، النجف، 2015، ص 102.

[41] – علي فتحي:مدخل لتأويلية هايدغر، تعريب: هلي هاشم الموساوي، قراءات معاصرة، مؤسسة المثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، ع1، 2015، ص 15.

[42] – ماهر الكتيباني:الظاهراتية – المنطلق والانفتاح، 32h: 17/2010/25/04/www/alnour.se

[43] – داخل الحمداني: التأويلية في سياقها التاريخي، ص 102–103.

[44] – داخل الحمداني: التأويلية في سياقها التاريخي، ص 103.

[45] – جان غرندان: المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ص 151.

[46] – رومان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 171.

[47] – يادكار لطيف الشهرزوري: الظاهراتية والنقد الأدبي، ص 61–62.

[48] – يادكار لطيف الشهرزوري: الظاهراتية والنقد الأدبي، ص 62–63.

[49] – حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط1، 2011، ص 119.

[50] – شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، ص 67.

[51] – حفناوي بعلي :مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة، ص119.

[52] – جان غرندان: المنعرج الهيرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ص 156.

[53] – جان غرندان:المنعرج الهيرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ص 62–63.

[54]– عبد الغاني بارة: الهيرمينوطيقا والفلسفة، ص 350–351.

[55] – عبد الغاني بارة: الهيرمينوطيقا والفلسفة، ص 353.

[56] – عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 55.

[57] – محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، ص 53–55.

[58] – عبد الغاني بارة: الهيرمينوطيقا والفلسفة، ص 347.